

الموت

وشكر الله

أبومريم  
مجدى فنجى السيد

مكتبة الصحابة

بطنطا

كتاب قد حوى درراً بعين الحسن ملحوظة

لهذا قلت تنبيهاً

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

في غرة شعبان سنة ١٤٠٦ هـ

الناشر

مكتبة الصحابة

شارع الجنبية الغربى - خلف المعهد الأزهرى

طنطا

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن شئت أن تحظى بجنة ربنا  
فانهض لفعل الخير واطرق بابه  
واعكف على هذا الكتاب فإنه  
يهدي إليك كلام أفضل مرسل  
فأدم قراءته يقلب خالص  
وتفوز بالفضل الكبير الخالد  
تجد الإعانة من إله ماجد  
جمع الفضائل جمع فذو نافر  
فيما يقرب من رضاء الواحد  
واذع لكاتبه وكل مساعد



## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِن الحمد لله ..

نحمده ونستعينه ونستغفره ..

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ..

من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده  
ورسوله صلى الله عليه وسلم .

(( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ )) ..  
(( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا  
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا )) ..

(( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا )) ..

ثم اما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه  
وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة  
في النار .

\* \* \*

## مقدمة الناشر

بحمد الله وتوفيقه ، قد بدأنا سلسلة كتب الرقائق « سلسلة السلف في إحياء قلوب الخلف » وجاء هذا الكتاب الطيب المبارك بإذن الله تعالى موفياً لغرضه متمساً عجزاً في المكتبة الإسلامية إذ تجد فيه التبسيط مع عدم الإخلال وكذلك الالتزام بقدر الامكان على ما صح وثبت من سنة رسول خير الأنام ثم أقوال وأحوال الصحابة الكرام والتابعين والعلماء العاملين تتذكر بهم ومنهم ما أعد لنا في الدنيا قبل الآخرة من وعد ووعد .

وقد قسم الأخ المكرم مجدى السيد الكتاب إلى أبواب فمنها :

● فضل ذكر الموت والاستعداد له وأحوال الناس في ذلك .

● ما يعين على ذكر الموت وأقوال السلف فيما يعين على ذلك

● سكرات الموت وشدته .

● وأحوال الناس عند السكرات .

● حسن الظن بالله عند نزول الموت .

● النهى عن تمنى الموت .

● أقوال المحتضرين .

● علامات حسن الخاتمة .

● وعلامات سوء الخاتمة .

ثم يختم الختام متمنياً أن ينول الشواب وان يفیق الناس من نومهم ليعرفوا مصيرهم ويستعدوا ليوم الرحيل بقصيدة طيبة تبعث الهمة على العمل وتذكر الإنسان بمكانه في الآخرة . إما إلى الجنة وإما إلى النار .

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وسدد خطانا وأعاننا على استكمال هذه السلسلة

« سلسلة السلف في إحياء قلوب الخلف » .

الناشر

## المقدمة

قال عز وجل :

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْفَرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ» (١) ..

نعم يا عبد الله أنت في صراع مع الدنيا وزينتها والشیطان وأتباعه . فكن على الحذر ، لأن الأمر سيطول حتى الموت . نعم حتى الموت ألا فاعلم يا عبد الله أن ذكرى الموت تعينك على الصمود أمام الدنيا والشیطان في آن واحد . فتفكر يا عبد الله في الموت والبلى ، والقبر وظلمته .



قال الامام القرطبي (٢) :

تفكر يا مغرور في الموت وسكرته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فيالموت من وعد ما أصدقه ، ومن حاكم ما أعدله ، كفى بالموت مفرحاً للقلوب ، ومبكيا للعيون ، ومفرقا للجماعات ، هازماً للذات وقاطعا للأمنيات ، فهل تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك ، وانتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق وهجرك الأخ والصديق ، وأخذت من فراشك وغطوك من بعد لين اللحاف بتراب ومدر ، فياجامع المال ، والمجتهد في البنيان ليس لك والله إلا الأكفان ، بل هي والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب .

فأين الذي جمعته من المال ؟ فهل أنقذك من الأهوال ؟

كلا بل تركته إلى من لا يحمذك وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك .



(١) فاطر : ٦ ، ٥

(٢) التذكرة ص ١٦ ج ١ طبعة الكليات الأزهرية .

وصدق الامام الغزالي عندما قال (٣) :

لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى  
سكرات الموت بمجرد ما كان جديراً بأن يتنصص عليه عيشه ويتكدر عليه  
سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ويعظم له  
استعداده لاسيما وهو في كل نفس بصدده .

كما قال بعض الحكماء : - كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك .  
وقال لقمان لابنه : - يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن  
يفجأك .

\* \* \*

أخي المسلم .. اختي المسلمة :

لقد رأيت الناس وقد تكالبوا على الدنيا ، وسعوا خلفها أينما كانت ،  
وطلبوا دنياهم بآخرتهم . وفرحوا بالحياة الدنيا ولكن والذي نفسى بيده  
ما الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ولهذا رأيت أن أكتب كتاباً وجيزاً ،  
يكون تذكرة لنفسى ، وعملاً صالحاً بعد موتى ، في ذكر الموت ، وأحوال  
الموتى ، وسكرات الموت . وبيان مجيئه على بغتة .

ألا « فاعلم » يا عبد الله وأنت يا أمة الله أن الموت هو الحقيقة التي  
لا يستطيع الإنسان مؤمناً كان أو ملحداً أن يفر منها .

إن الموت أمر فظيع وأليم . إنه هو الذي يفضح الأسرار ويهتك  
الأسرار ، ويبدى العورات ، ويظهر الجسرات .

\* \* \*

وصدق الحسن البصري حيث يقول :

« فضح الموت الدنيا فلم يبق لذي لب فرحاً » .

ألا فاقراً يا عبد الله وتيقن بأنك عن قليل محمول على خشبة إلى دار

---

(٣) أحياء علوم الدين ص ٤٤٥ ج ٤ طبعة المكتب الثقافي .



ليس فيها أم ولا والد ولا صاحبة ولا ولد ولكن هناك الأعمال الصالحة والأعمال السيئة .

عندما يتذكر الإنسان منا الموت يتضح الطريق أمامه . وتظهر تفاهة الدنيا حiale . وعندئذ يتمنى العودة لدار العمل وهى الدنيا ليستزيد من الحسنات ولو بحسنة واحدة ولكن هيهات هيهات لقد خرجت الروح من الحلقوم .

وفارقت صاحبها إلى رب كريم . إما أن يعفو عنها وهذا من لطفه وكرمه لا من عمل النفس . وسعيها ، وإما أن يعاقب النفس على ما جنت يدها فى الدنيا .

فاعملوا يا عباد الله حتى تلقوا الله وأتمم على الصراط المستقيم .

اللهم اجعل عملنا هذا خالصاً لوجهك الكريم اللهم تقبله واجعله فى صحيفتنا يوم النشور اللهم لا تخزننا يوم تبعث عبادك .

اللهم آمين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الباب الأول

### في بيان فضل ذكر الموت وحسن الاستعداد له

قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« أكثروا من ذكر هازم اللذات » (٤) ..

● قال الفزالي : (٥)

« معناه نفصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى . وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ، ويتقاضى الاستعداد للآخرة ، والغفلة تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا » .

\* \* \*

أخى المسلم .. أختى المسلمة :

اعلموا أن العبد العاقل هو الذى قد دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، ولم يتمن على الله الأمانى الغرور .

أما العبد التعيس الشقى هو الذى يتبع نفسه هواها ، ويظل يسعى فى الدنيا وهو يتمنى على الله الأمانى .

عن أبى قتادة رضى الله عنه قال مُرَّ على النبى صلى الله عليه وسلم بجنائز فقال « مستريح ومُستراح منه » (٦) .

---

(٤) قال الحافظ العراقي فى التعليق على الاحياء : حديث اكثروا من ذكر هازم اللذات أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى وابن ماجه .  
(٥) احياء علوم الدين ص ٤٣٤ ج ٤  
(٦) متفق عليه .

قالوا : يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه ؟

فقال « العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله .  
والفاجر يستريح منه البلاد والعباد والشجر والدواب » .. نعم يا عبد الله :  
عندما تذكر الموت تجد أن الهموم والغوم التي قد علت صدرك قد  
ذهبت ، وأن المصائب التي أوشتك أن تقتلك كمدأ قد تولت عنك .

\*\*\*

● قال عمر بن عبد العزيز :

إذا كنت في سعة من العيش وأردت أن يضيق عليك فاذكر الموت .  
وإذا كنت في ضيق من العيش وأردت أن يتسع عليك فاذكر الموت .  
نعم إن الموت هو الحقيقة الباقية .

\*\*\*

● قال الدقاق رحمه الله (٧) :

« من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء !  
تعجيل التوبة ، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة .  
ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء :  
تسويق التوبة ، وترك الرضا بالكفاف ، والتكاسل في العبادة » .

\*\*\*

● أخرج ابن أبي شيبة عن عون بن عبد الله قال :

ما أحد ينزل الموت حق منزلته إلا عبد غدأ ليس من أجله ، كم من  
مستقبل يوماً لا يستكمل ، وراج غدأ لا يبلغه إنك لو ترى الأجل ومسيره ،  
لأبغضت الأمل وغروره .

\*\*\*

● وعن أبي حازم قال :

انظر الذى تحب أن يكون معك فى الآخرة فقدمه اليوم ، وانظر الذى تكره أن يكون معك ثم فاتركه اليوم . كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه ، ثم لا يضرّك متى مت .

\* \* \*

● واخرج أبو نعيم عن عمر بن عبد العزيز :

من قرب الموت من قلبه استكثر ما فى يديه .

إنك إن استشعرت ذكر الموت فى ليلك ونهارك ، بغض إليك كل فأن ، وحبب إليك كل باق .

\* \* \*

● واخرج ابن أبى الدنيا :

عن صفية أن امرأة شكت إلى عائشة رضى الله عنها القسوة - يعنى فى قلبها - فقالت عائشة :

ذكر الموت يرق قلبك .

\* \* \*

● وعن الحسن :

ما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عنده ، وهان عليه جميع من فيها .

\* \* \*

● عن قتادة قال :

كان يقال : طوبى لمن ذكر ساعة الموت .

\* \* \*

● وأخرج أبو نعيم عن سميط رحمه الله :  
من جعل الموت نصب عينيه ، لم يُبالِ بضيق الدنيا ولا مسعتها .

\* \* \*

● عن كعب :  
قال : من عرف الموت ، هانت عليه المصائب .  
أخرج ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد في الزهد ، عن أبي الدرداء :  
قال : من أكثر ذكر الموت ، قل حسده ، وقل فرحه .

\* \* \*

● قال التيمي :  
شيئان قطعاً عنى لذة الدنيا :  
ذكر الموت وذكر الوقوف بين يدي الله تعالى أخرجه ابن أبي الدنيا .

\* \* \*

● كتب أحد الحكماء الى رجل من اخوانه :  
يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها  
الموت فلا تجده .

\* \* \*

● كان عمر بن عبد العزيز :  
يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يكون  
حتى كأن بين أيديهم جنازة .

\* \* \*

● قال مطرف بن عبد الله :  
رأيت فيما يرى النائم كأن قائلًا يقول في وسط مسجد البصرة : قطع  
ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهيّن .

\* \* \*

● قال أشعث :

كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت .

\* \* \*

● قال الحسن :

ما رأيت عاقلا قط إلا أهبطه من الموت حذرا وعليه حزينا .

\* \* \*

● أخرج نعيم بن حماد (٨) عن عبد الله بن مسعود قال :

كفى بالموت واعظا ، وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا .

\* \* \*

● عن الربيع بن خيثم :

أنه قيل له : كيف أصبحت يا أبا يزيد ؟ قال : أصبحنا ضعفاء مذنبين  
نأكل أرزاقنا ، وننتظر آجالنا .

\* \* \*

● عن عمرو بن مرة :

قال : حضر رجلاً من أصحاب عبد الله الموت ، فجعل يقول : الموت ،  
فقالوا له : اتق الله ، فقد كنت وكنت . فقال : الموت ، يا ليت أُمى لم  
تلدنى .

\* \* \*

● بكى أبو هريرة رضى الله عنه في مرضه :

فقيل له : ما يبكيك ؟

فقال : أما إني لا أبكى على دنياكم هذه ، ولكن أبكى على بعد سفرى  
وقلة زادى ، وإني أُمسيت فى صعود مهبط ، على جنة ونار ، لا أدري إلى  
أيهما يؤخذ بى .

(٨) الزهد لأبى نعيم بن حماد ص ٣٧ ، ٣٨

● قال علي بن أبي طالب :

ألا أخبركم بأفضل الحسرات ، رجل جمع درهماً إلى درهم ، وقيراطاً إلى قيراط ، ثم مات وورثه غيره فوضعه في حقه وأمسكه عن حقه .

\* \* \*



## الباب الثاني

### أحوال الناس عند ذكر الموت

قد قسم الإمام الغزالي الناس عند ذكر الموت إلى طوائف ثلاث فإليك إيّاها :

#### أولا - مرتبة المنهمك في الدنيا :

قال الغزالي (٩) : اعلم أن المنهمك في الدنيا المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره . وإذا ذكر به كرهه وقر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم :

« قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (١٠) ..

وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعداً .



#### ثانياً - مرتبة التائب :

أما التائب فإنه يكثر من ذكر الموت لينبث به من قلبه الخوف والخشية فيفنى بتمام التوبة . وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه (١١) .

(٩) الاحياء ص ٤٣٤ ج ٤

(١٠) سورة الجمعة : ٨

(١١) متفق عليه من حديث أبي هريرة .

فإن هذا ليس يكره الموت وإنما يخاف فوات لقاء الله لقصوره وتقصيره .  
وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشغولاً بالاستعداد للقاءه على وجه يرضاه  
فلا يعد كارها للقاءه .

وعلاوة هذا أن يكون دائم الاستعداد له . لا شغل له سواه ، وإلا  
التحق بالمنهمك في الدنيا . اهـ .

وهذا يا عبد الله هو ما كان عليه السلف الصالح . بالرغم من هذا كانوا  
يكونون ، ويحزنون ، ويندمون ، ثم يقولون بأنهم في حق الله مفرطون . فما  
بالك بنا نحن . أخرج عبد الله بن المبارك (١٢) رحمه الله .

\*\*\*

● عن أبي الدرداء :

قال : لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوماً واحداً ظمأً لله بالهواجر ،  
والسجود في جوف الليل ، ومجالسة قوم ينتقون من خيار الكلام كما  
ينتقى أطائب التمر .

\*\*\*

● عن بلال بن ساعد عن معضد (١٣) :

قال : لولا ظمأ الهواجر ، وطول ليل الشتاء ولذاذة التهجد بكتاب الله  
عز وجل ما باليت أن أكون يعسوباً (١٤) .

\*\*\*

● قال عقبة بن مسلم : (١٥) :

ما من خصلة في العبد أحب إلى الله تعالى من أن يحب لقاءه ، وما من  
ساعة العبد فيها أقرب إلى الله تعالى منه حيث يخر ساجداً .

\*\*\*

---

(١٢) الزهد والرفائق ص ٩٤

(١٣) معضد أبو زيد العجلي من كبار الصالحاء - رحمه الله تابعي -

(١٤) اليعسوب : أميرة النحل وهو جنس من الحشرات .

(١٥) تابعي ثقة من أهل مصر من رجال المذهب .

● عن قتادة عن عامر بن عبد قيس (١٦) :

لما حضر (١٧) جعل يبكى ف قيل له : ما يبكيك ؟

قال : ما أبكى جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن أبكى على ظمأ . الهواجر ، وعلى قيام ليالى الشتاء .

أنظر يا عبد الله هكذا كانوا ، ومع ذلك كانوا يذمون أنفسهم على تقصيرها في جنب الله .

أما نحن الآن كما ترى نجتمع ما لا نأكل ، ونأمل ما لا ندرك ، ونبنى ما لا نسكن . فهل من متعظ بالموت ؟

هل من عبد يعمل للموت ؟

هل من منيب قبل الموت ؟

هل من مخبت قبل الموت ؟

\* \* \*

ثالثاً - الطائفة الأخيرة :

فهي التي تذكر الموت دائماً ، وعلى كل حال .

قال الغزالي : يذكر الموت دائماً لأنه موعد للقاءه ، والمحـب لا ينسى قط موعد المولى تبارك وتعالى . اهـ .

\* \* \*

● عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال :

حبيب جاء على فاقة لا أفلاح من ندم . اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلي من الغنى ، والسقم أحب إلي من الصحة ، والموت أحب إلي من العيش . فسهل علي الموت حتى ألقاك ويعلم ذلك الإمام الغزالي بقوله :

« ليتخلص من دار العاصين ، وينتقل إلى جوار رب العالمين » ..

\* \* \*

(١٦) من سادات التابعين .

(١٧) أى كان في الاحتضار يعنى نهاية الموت .



## الباب الثالث

### في ما يعين على ذكر الموت

● عن أبي هريرة رضى الله عنه :

قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال  
« استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنت في أن أزور قبرها  
فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت » (١٨) .

\* \* \*

● عن علي رضى الله عنه :

أنه خرج إلى المقبرة فلما أشرف عليها قال : يا أهل القبور أخبرونا  
عنكم ، أو نخبركم عنا ، أما خبر من قبلنا فالمال قد اقتسم ، والنساء قد  
تزوجن ، والمسكن قد سكنها قوم غيركم ، ثم قال : أما والله لو استطاعوا  
لقالوا : لم نَزَاداً خيراً من التقوى .

\* \* \*

قال الامام القرطبي (١٩) :

ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية . فعلى  
أصحابها أن يعالجوها بثلاثة أمور .

أحدها :

الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكير والتخويف  
والترغيب ، وأخبار الصالحين . فإن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها .

(١٨) أخرجه مسلم في صحيحه .

(١٩) التذكرة ص ٢١ ج ١ .

## الثنائي :

ذكر الموت فيكثر من ذكر هازم اللذات ومفرق الجساعات وميتم البنين والبنات .

جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها :

أن امرأة شكت إليها قساوة قلبها .

فقال لها : أكثري من ذكر الموت يرق قلبك . ففعلت ذلك فرق قلبها . فجاءت تشكر عائشة .

## قال العلماء :

تذكر الموت يردع عن المعاصي . ويبين القلب القاسي ، ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها .

## الثالث :

مشاهد المحتضرين ، فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ، ونزعاته ، وتأمل صورته بعد مماته ، ما يقطع عن النفوس لذاتها ، ويطرد عن القلوب مسراتها ، ويمنع الأجفان من النوم ، والأبدان من الراحة ، ويبعث على العمل ، ويزيد في الاجتهاد والتعب .

\*\*\*

## ● الحسن البصري :

دخل على مريض يعود فوجده في سكرات الموت فنظر إلى كربه ، وشدة ما نزل به ، فرجع إلى أهله ، بغير اللون الذي خرج به من عندهم فقالوا : الطعام يرحمك الله فقال : يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم . فوالله لقد رأيت مصرعا لا أزال أعمل له حتى ألقاه .

فهذه ثلاثة أمور لمن قسا قلبه ، ولزم ذنبه ، أن يستعين بها على دواء دائه ، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغوائه ، فإن انتفع بها فذاك ، وإن عظم عليه ران القلب ، واستحكمت فيه دواعي الذنب ، فزيارة القبور تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول ، والثاني ، والثالث .

## قال الفزالي : (٢٠)

« وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله - يعنى الموت - وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر أحوالهم ، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم ، وكيف تبددت أجزاءهم في قبورهم ، وكيف أرملوا نساءهم ، وأيتموا أولادهم ، وضيعوا أموالهم ، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ، وانقطعت آثارهم .

وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله ، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه ، وكيف كان يضحك وقد أكل الدود أسنانه ، وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فأنكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء إما بالجنة وإما بالنار » .



## من أقوال السلف الصالح في هذا

- قال أبو الدرداء رضى الله عنه :  
إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم .
- قال ابن مسعود رضى الله عنه :  
السعيد من وعظ بغيره .
- قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - :  
ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غدياً أو رائحاً إلى الله عز وجل تفعلونه في صدع من الأرض قد توسد التراب ، وخلف الأحباب وقطع الأسباب .
- نظر ابن مطيع - رحمه الله - إلى داره ذات يوم فأعجبه حسناتها ثم بكى

فقال : والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ، ثم بكى بكاء شديداً حتى ارتفع صوته .

\* \* \*

قال أبو العتاهية :

يا عجباً للناس لو فكّروا  
وحاسبوا أنفسهم أبصروا  
وعبروا الدنيا إلى غيرها  
فإنما الدنيا لهم معبر  
لا فخر إلا فخر أهل التقى  
غداً إذا ضمّهم الحشر  
ليعلمنّ الناس أن التقى  
والبِرّ كانا خيراً ما يدخر  
عجت للإنسان في فخره  
وهو غداً في قبره يقبر  
ما بال من أوله نطفة  
وجيفة آخره يفجر  
أصبح لا يملك تقديماً ما  
يرجو ولا تأخيراً ما يحذر

\* \* \*



## الباب الرابع

### سكرات الموت وشده

أعلم يا عبد الله أن الله عز وجل قد بيّن في كتابه أن للموت شدة ،  
وللموت صعوبة . وقد وصف الله تعالى شدة الموت في أربع آيات :

الأولى قوله عز وجل :

« وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ » (٢١) ..

والثانية في قوله جل ثناؤه :

« وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ » (٢٢)

والثالثة في قوله تبارك وتعالى :

« قَالُوا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفَ » (٢٣) ..

والرابعة في قوله عز وجل :

« كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ » (٢٤) ..

وكذلك ورد في السنة النبوية المطهرة ما يوضح تلك الحقيقة .

● عن عائشة رضى الله عنها :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول « لا إله إلا الله إن للموت سكرات » .

(٢١) سورة ق : ١٩

(٢٢) سورة الانعام : ٩٣

(٢٣) سورة الواقعة : ٨٣

(٢٤) سورة القيامة : ٢٦

تم نصب يديه فجعل يقول « في الرفيق الأعلى » حتى قبض ومالت يده (٢٤)

\* \* \*

● قال عيسى بن مريم عليه السلام : (٢٦)  
« يا معشر الحواريين ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة » يعنى  
سكرات الموت .

\* \* \*

● قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام :  
« يا خليلي كيف وجدت الموت » قال : كسفود محسى مجعل في صوف  
رطب ثم جذب قال : « أما إنا قد هونا عليك يا إبراهيم » .

\* \* \*

● روى أن موسى عليه السلام :  
لما صار روحه إلى الله تعالى قال له ربه : يا موسى كيف وجدت الموت ؟  
قال : وجدت نفسى كالعصفور الحى حين يُقلَى على المقلَى لا يموت  
فيستريح ولا ينجو فيطير .

\* \* \*

## ما ورد عن السلف وأحوالهم عند السكرات

● قالت عائشة :  
لا أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم .

\* \* \*

---

(٢٥) رواد البخارى في صحيحه .  
(٢٦) التذكرة ص ٣٠ ج ١ والاحياء ص ٤٤٧ ج ٤

● وكان على رضى الله عنه :

يحض على القتال ويقول :

إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراش .

\* \* \*

● لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة :

قال له ابنه : يا أبتاه إنك لتقول لنا ليتنى كنت ألقى رجلا عاقلا ليبيأ عند نزول الموت حتى يصف لى ما يجد . وأنت ذلك الرجل فصف لى الموت ؟

فقال : يا-بنى والله كأن جنبى فى تخت وكأن السماء قد انطبقت على الأرض وأنا بينهما ، وكأنى أتنفس من سم إبرة ، وكأن غصن شوك يجذب من قدمى إلى هامتى .

\* \* \*

● قال عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار :

يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين . إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل وأخذت كل شوكة يعرق ، ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى .

\* \* \*

● قال الأوزاعى :

بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يُبعث من قبره .

\* \* \*

● قال شدداد بن أوس :

الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر المناشير ، وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ، ولو أن الميت نُشِرَ فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لدوا بنوم .

● عن زيد بن أسلم عن أبيه :

إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله ، شُدَّ عليه من الموت ،  
ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة ، وإن الكافر إذا كان قد  
عمل معروفًا في الدنيا هُوِّنَ عليه الموت ، ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ،  
ثم يصير إلى النار .

\* \* \*

● عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

إن المؤمن يبقى عليه خطايا من خطاياهم ، يُجَازَى بها عند الموت ، فيعرق  
لذلك جبينه .

\* \* \*

● عن أنس رضى الله عنه :

قال : لم يَلَقَ ابنُ آدمَ شدةً قط منذ خلقه الله أشدَّ عليه من الموت .

\* \* \*

● عن الحسن قال :

أشدُّ ما يكون من الموت على العبد إذا بلغت الروح التراقي ، فعند ذلك  
يضطرب ، ويعلم أنَّه .

\* \* \*

كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعى :

أما بعد :

فإني أوصيك بتقوى الله سبحانه والعمل بما علمك الله تعالى ، والمراقبة  
حيث لا يراك إلا الله عز وجل ، والاستعداد لما ليس لأجد فيه حيلة ولا ينتفع  
بالندم عند نزوله ، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين ، وانتبه من رقدة الموتى  
وَسَمِّرْ للسباق غداً ، فإن الدنيا ميدان السائقين ولا تغتر بمن أظهر النسك  
وتشاغل بالوصف وترك العمل بالوصوف ، واعلم يا أخى أنه لا بد لى ولك

من المقام بين يدي الله تعالى ، يسألنا عن الدقيق الخفى ، وعن الجليل الخافى ، ولست آمن أن يسألنى وإياك عن وسواس الصدور ، ولحظات العيون ، والإصغاء للاستماع ، واعلم أنه لا يجزى من العمل القول .

\* \* \*

**فانظروا يا عباد الله :**

هذا هو حال الأنبياء والأولياء وكانوا والله من العاملين والمتقين ، وقد شدد عليهم عند الموت فما بالنا نحن المنهمكين فى المعاصى .

\* \* \*

**قال الامام ابن الجوزى (٢٧) :**

كأنك بالمر قد انقرض ، وهجم عليك المرض ، وفات كل مراد وغرض ، وإذا بالتلف قد عرض أخذاً :

« لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا » (٢٨) ..

شخص البصر ، وسكن الصوت ، ولم يكن التدارك للفوت ، ونزل بك ملك الموت قامت الروح وحاذر :

« لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا » ..

عالجت أشد الشدائد ، فيأعجبا مما تكابد .

بلغت الروح إلى التراقى ، ولم تعرف الرافى من الساقى ، ولم تدبر عند الرحيل ما تلاقى ، عياداً بالله عياداً .

« لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا » ..

ثم درجوك فى الكفن وحملوك إلى العفن ، على العيب القبيح والأفن ، وصرت فى القبر جذاداً :

« لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا » ..

---

(٢٧) التبصرة ص ٢٧٥ ج ٢

(٢٨) سورة ق : ٢٢

قال الشاعر :

آلَا أَيُّهَا الْمَغْسُورُ مَا لَكَ تَلَعَبٌ  
تُؤْمَلُ أَمَلًا وَمَوْنُكَ أَقْرَبُ  
وَتَعْلَمُ أَنَّ الْحِرْصَ بِحُرٍّ مُبْعَدٌ  
سَفِينَتُهُ الدُّنْيَا فَيَاكَ وَالْعَطَبُ  
وَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَيِّتَ يَنْقِضِي مُسْرَعًا  
عَلَيْكَ يَقِينًا طَعْمُهُ لَيْسَ يَغْدُبُ  
كَأَنَّكَ تُوصِي وَالْيَتَامَى تَرَاهُمْ  
وَأُمَّهُمُ الشُّكْلَى تَنُوحُ وَتَنْدُبُ (٢٩)

\* \* \*

● كتب عمر بن عبد العزيز :

إلى أناس من أصحابه يوصيهم فقال :

أما بعد :

فإني أوصيكم بتقوى الله العظيم ، والمراقبة له ، واتخذوا التقوى  
والورع زاداً فإنكم في دار عما قريب تنقلب بأهلها ، والله في عرصات القيامة  
وأهوالها .

يسألکم عن القتل والنقیر . فالله الله عباد الله .

اذكروا الموت الذي لا بد منه ، واسمعوا قول الله تعالى :

« كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ » (٣٠) ..

وقوله عز وجل :

« كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » (٣١) ..

وقوله عز وجل :

(٢٩) الندب هو ارتفاع صوت النساء بالعويل والصراخ وهو أمر نهى عنه الشرع .

(٣٠) سورة الرحمن : ٢٦

(٣١) سورة آل عمران : ١٨٥

(( فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ )) (٣٢) ..

فقد بلغنى — والله أعلم — أنهم يُضربون بسياط من نار

قال الامام القرطبي (٣٣) ..

تخيل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك ، إلى لوح مغتسلك  
فغسلك الغاسل ، وألبست الأكفان ، وأوحش منك الأهل والجيران ، وبكت  
عليك الأصحاب والإخوان ، وقال الغاسل : أين زوجة فلان وأين اليتامى  
ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبدأ (٣٤) .

أيها الناس :

قد آن للنائم أن يستيقظ من نومه ، وحان للغافل أن ينتبه من غفلته  
قبل هجوم الموت بمرارة كأسه ، وقبل سكون حركاته ، وخمود أنفاسه ،  
ورحلته إلى قبره ، ومقامه بين أرماسه .

\*\*\*

قال وهب بن منبه :

إن لله مناديا ينادى كل ليلة : أبناء الخمسين هلموا للحساب ، أبناء  
الستين ماذا قدمتم وماذا أخرتم ؟ أبناء السبعين عدوا أنفسكم في الموتى .

\*\*\*

قال ابن الجوزى (٣٥) :

كم سقى الموت من الحشرات كؤوساً ، كم طمس بدوراً وشموساً ،  
واستلب نعيماً ثم أعطى بؤساً ، وأذل جابرة كانوا شوساً ، وأغمض عيوناً  
ونكس رءوساً ، وأبدل التراب عن الثياب ملبوساً الجد الجد قبل بغتات  
المنايا ، البدار البدار قبل حلول الرزايا ليلحق بكم من الموت يوم ذو ظلم  
ينسيكم معاشره اللذات والنعم ، ولا يبقى في الأفواه إلا طعم الندم .

(٣٢) سورة محمد : ٢٧

(٣٣) التذكرة ص ٣١ ، ٣٣

(٣٤) المقصود في الدنيا فقط وربما التقوا معا في جنة أو نار .

(٣٥) التبصرة ص ٢٣٧ ج ٢

قال الشاعر :

سَلِّ بِالزَّمَانِ خَيْرًا  
إِنِّي بِهِ لَعَلِي  
وَإِهْي الْأُمَّةَ ظَاعِنُ  
بِالْمَرْءِ وَهُوَ مُقِيمُ  
لَا تُخَدِّعَنَّ بِمَنِيَّةٍ  
أَمْ الْخُلُودُ سَقِيمُ  
وَإِذَا الْمَيِّتَةُ أَبْرَقَتْ  
فَرَجَاؤُكَ الْمَهْنُ زُومُ  
عَشَقَ الْبَقَاءِ وَإِنَّمَا  
طُؤُلُ الْحَيَاةِ هُمُومُ

اللهم هَوِّنْ عَلَيْنَا مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ..

اللهم اَرْحَمْنَا عِنْدَ نَزُولِ الْمَوْتِ ..

اللهم اسْتَرْنَا عِنْدَ بَغْتَةِ الْمَوْتِ ..

\* \* \*



## الباب الخامس

### حسن الظن بالله عند نزول الموت

● عن جابر قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاثة أيام :  
« لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » (٣٦) ..

● عن أنس :

أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال :  
« كيف تجدك » ؟

فقال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يجتنعان في قلب عبد مؤمن في  
مثل هذا الموقف إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخاف (٣٧) .

\*\*\*

قال القرطبي (٣٨) :

حسن الظن بالله تعالى ينبغي أن يكون عند الموت أغلب على العبد منه  
في حال الصحة ، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له .

\*\*\*

---

(٣٦) رواه البخارى في صحيحه ومسلم .

(٣٧) ابن ماجه والترمذى وقال : هذا حديث حسن غريب وصححه الالبانى في مختصر  
أحكام الجنائز ص ٧

(٣٨) التذكرة ص ٤٢

## ما ورد عن السلف في هذا

● عن ابن عمر رضى الله عنه انه قال :

عمود الدين ، وغاية مجده ، وذروة سنامه : حسن الظن بالله فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله تعالى دخل الجنة مدلا يعنى منبسطا لا خوف عليه .

\* \* \*

● عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال :

والله الذى لا إله غيره لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ، وذلك أن الخير بيده .

\* \* \*

● قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما :

إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به ، وإذا كان حيا فخوفوه .

\* \* \*

● سُئل الفضيل بن عياض :

أيهما أفضل الخوف أم الرجاء ؟

قال رحمه الله : الخوف أفضل من الرجاء ، ما كان العبد صحيحاً . فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف .

\* \* \*

● قال المعتمر رحمه الله :

قال أبى حنن حضرته الوفاة يا معتمر حدثنى بالرخص لعلنى ألقى الله وأنا حسن الظن به .

\* \* \*

● عن حصين بن ابراهيم رحمه الله قال :  
كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت ، حتى يحسن  
ظنه بربه عز وجل .

\* \* \*

● قال ثابت البناني رحمه الله :  
كان شاب به رهق فلما نزل به الموت انكبت عليه أمه وهي تقول :  
يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا .  
قال : يا أماه إن لي ربا كثير المعروف ، وإنى لأرجو اليوم أن لا يعد  
منى بعض معروفه .

\* \* \*

● قال زيد بن أسلم رضى الله عنه :  
يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيقال : انطلقوا به إلى النار .  
فيقول : يا رب فأين صلاتى وصيامى ؟  
فيقول الله عز وجل « اليوم أقنطك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى  
من رحمتى » .  
قال عز وجل :

« وَمَنْ يَفْنُظْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ » (٣٩) .

\* \* \*

● قال على رضى الله عنه :  
لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه : يا هذا يأسك من رحمة  
الله أعظم من ذنوبك .

\* \* \*

## ● قال سفيان :

من أذنب ذنباً فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه لأن الله عز وجل عَيَّرَ قوماً فقال :

« وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَنْ ذَاكُمْ » (٤٠) . .

ومن قبل ، ومن بعد ، فقد قال الله عز وجل منادياً الخلق بذلك النداء الرباني :

« قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (٤١) . .

\* \* \*

عن أبي هريرة رضي الله عنه :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حيث يذكرني ، والله ، لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلأة ، ومن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، ومن «تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أقبل إلى يمشى أقبلت إليه أهول (٤٢) .

اللهم إنا نحسن الظن بعفوك ونحسن الظن برحمتك ومغفرتك ، فاللهم لا تحرمنا من عفوك ورحمتك ومغفرتك .

\* \* \*

## ● اللهم انا نحسن الظن بعفوك .

ونحسن الظن برحمتك ومغفرتك .

فاللهم لا تحرمنا من عفوك ورحمتك ومغفرتك .

آمين يارب العالمين

(٤٠) سورة فصلت : ٢٣

(٤١) سورة الزمر : ٥٣

(٤٢) رواه الإمام مسلم .

## الباب السادس

### النهي عن تمنى الموت

● عن انس رضى الله عنه :

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنياً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى » (٤٣) .

\* \* \*

● عن أبى هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا يتمنين أحدكم الموت ، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه ، أنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وأنه لا يزيد المؤمن من عمره إلا خيراً (٤٤) .

\* \* \*

● عن أبى هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا يتمنين أحدكم الموت ، إما محسناً فلعله أن يزداد ، وإما مسيئاً فلعله أن يستعقب (٤٥) .

\* \* \*

---

(٤٣) أخرجه البخارى فى الصحيح ، ومسلم .

(٤٤) أخرجه مسلم فى الصحيح .

(٤٥) البخارى والنسائى .

## ما ورد عن السلف في هذا

● عن أنس قال :

لولا أن يرسل الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نتمنى الموت لتميناه .

\* \* \*

● عن قيس بن أبي حازم قال :

دخلنا على خباب نعوذ وقد اكتوى سبع كيات ، فقال : لولا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به .

\* \* \*

● عن سهل بن عبد الله قال :

لا يتمنى أحدكم الموت إلا ثلاثة :

رجل جاهل بما بعد الموت ، أو رجل يفر من أقدار الله تعالى عليه ،  
أو مشتاق لمحبة للقاء الله عز وجل .

\* \* \*

قلت :

اعلموا يا عباد الله أن ذلك النهي إنما قصد به من تمنى الموت خوفاً من مرض ، أو من فقر ، أو من عدو ، أو من مصيبة نزلت في المال والولد . أما غير تلك الأمور فهذا له من الأقوال غير ذلك النهي .

\* \* \*

● فعن أبي هريرة رضي الله عنه :

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتني مكانه (٤٦)

\* \* \*

قال القرطبي (٤٧) :

فإنما هو خبر أن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس ، من فساد الحال في الدين ، وضعفه وخوف ذهابه ، لا لضر ينزل بالمرء في جسمه ، أو غير ذلك ، من ذهاب ماله .

\*\*\*

### ومما ورد عن السلف في تمنى الموت خوفا من الفتنة في الدين

● قال عمر بن الخطاب :

اللهم قد ضعفت قوتي ، وكبرت سني وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مقصر .  
فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض رضى الله عنه .

\*\*\*

● عن حبيب بن فضالة :

أن أبا هريرة ذكر الموت ، فكأنه تمناه فقال بعض أصحابه : وكيف تتمنى الموت بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لأحد أن يتمنى الموت ؟

قال : وكيف لا أتمنى الموت ، وأنا أخاف أن تدركني سطة : التهاون بالذنوب ، وبيع الحكم ، وتقاطع الأرحام ، وكثرة الشرط ، ونشوي يتخذون القرآن مزامير .

\*\*\*

قلت :

سبحان الله فماذا نقول نحن والحال كما يعلم الجميع من فساد في الدين والدنيا معاً فقد قطعنا الأرحام ومزقنا الأحكام ، واتبعنا الكفار ، وتركنا القرآن .

● عن سفيان قال :

يأتى على الناس زمان ، يكون الموت فيه ، أحب إلى قراء ذلك الزمان من الذهب الأحمر .

\* \* \*

● عن عبد ربه بن صالح :

أنه دخل على مكحول فى مرض موته فقال له : عافاك الله .  
فقال : كلا للحق بمن يرجى عفوهِ خير من البقاء مع من لا يؤمن شره ،  
شياطين الإنس وإبليس وجنوده .

\* \* \*

● عن أبى عبد الله الصنابحى :

قال : الدنيا تدعو إلى الفتنة والشيطان يدعو إلى الخطيئة ، ولقاء الله  
خير من الإقامة معهما .

\* \* \*

● عن أبى بكره رضى الله عنه :

قال : والله ما من نفس تخرج أحب إلى من نفسى هذه ، ولا نفس هذا  
الذباب الطائر ، ففزع القوم فقالوا : لم ؟  
قال : أخاف أن أدرك زماناً لا أستطيع أن آمر فيه بمعروف ولا أنهى  
عن منكر ، وما خير يومئذ .

\* \* \*



## الباب السابع

### أقوال المختصرين من العلماء والصالحين والملوك

● لما احتضر أبو بكر الصديق رضى الله عنه قالت عائشة :

لعمرك ما يغنى الشراء عن الفتى  
إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدر  
فقال لها : ليس كذلك ولكن قولى :  
« وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ » ..

\* \* \*

● لما احتضر عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

ويلى وويل لأمرئى إن لم يرحمنى ربى .

\* \* \*

● قال أبو الدرداء عند احتضاره :

ألا رجل يعمل لمثل مصرعى هذا ؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتى هذه ؟  
ألا رجل يعمل لمثل يومى هذا ؟ وبكى .

فقال له امرأته : تبكى وقد صاحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال : وما لى لا أبكى ولا أدرى علام أهجم<sup>(٤٨)</sup> من ذنوبى ؟

\* \* \*

---

٤٨) أهجم بمعنى : أفر .

● لما احتضر أبو هريرة رضي الله عنه بكى

فقال له : وما يبكيك ؟

فقال : بعد المفازة . وقلة الزاد . وعقبة كئود . المهبط منها إلى الجنة أو إلى النار .

\* \* \*

● لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال :

أقعدوني فأقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال :

تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وبغصن الشباب  
نضر وريان ، وبكى حتى علا بكأؤه وقال :

يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي ، اللهم أقل العثرة واغفر  
الزلة واعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك .  
وقال :

ليتني كنت رجلاً من تریش بنى طوى وأنى لم ألي من هذا الأمر شيئاً .

\* \* \*

● لما حضرت سلمان رضي الله عنه :

الوفاة بكى فقل له : ما يبكيك ؟

قال : ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب .

فلما مات سلمان نظروا في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهماً .

\* \* \*

● لما حضرت الوفاة إلى زيد الرقاشي بكى :

قل : ما يبكيك ؟

فقال : أبكى على ما يفوتني من قيام ليل ، وصيام نهار ، ثم جعل

يقول : يا يزيد من يصلى لك ؟ ومن يصوم عنك ، ومن يتقرب إلى الله عز وجل بالأعمال بعدك ؟ ويحكم يا إخوانى لا تغتروا بشبابكم ، فكأن قد حل بكم مثل ما قد حل بى .

\* \* \*

● لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال :

إلهى أمرتنى فلم أؤتمر ، وزجرتنى فلم أنزجر ، غير أنى أقول لا إله إلا الله .

\* \* \*

● ولما احتضر هارون الرشيد :

حل إلى قبره فاطلع فيه فبكى حتى ابتلت لحيته ، ثم قال : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه .

\* \* \*

● قال المزنى :

دخلت على الشافعى فى علته التى مات فيها فقلت له : يا أبا عبد الله كيف أصبحت ؟  
قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، ولإخوانى مفارقاً ، وبكأس المنية شارباً ، وعلى الله تعالى وارداً ، ولا أدرى نفسى تصير إلى الجنة فأهنتها أم إلى النار فأعزيتها ثم بكى .

\* \* \*

● لما حضر إبراهيم النخعى :

الوفاة بكى . قيل له : ما يبكيك ؟ فقال : أنتظر من الله رسولا يشرنى بالجنة أو بالنار .

\* \* \*

● ولما حضرت ابن المنكدر :

الوفاة بكى . فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : والله ما أبكى لذنب أعلم أنى أتيته ، ولكن إنى أتيت شيئاً حسبه هينا وهو عند الله عظيم .

\* \* \*

● ودخل الحسن

على رجل يجود بنفسه فقال :

إن أمرا هذا أوله لجدير أن يتقى آخره ، وإن أمراً هذا آخره لجدير أن يزهد فى أوله .

\* \* \*

قال ابن الجوزى (٤٩) :

يا مطلقا نفسه فيما يشتهى ويريد ، اذكر عند خطواتك المبدىء المعيد ، وخف قبج ما جرى فالملك يرى والملك شهيد .

(( وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ )) ..

هلا . استحييت ممن يراك إذا ركبت من هواك ما نراك ، ستبكى والله عيناك مما جنت يدك ، أما تعلم أنه بالمرصاد فقل لى أين تحيد :

(( وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ )) ..

\* \* \*

## الباب الثامن

### في علامات حسن الخاتمة

اعلموا يا عباد الله أن الله عز وجل قد جعل لحسن الخاتمة علامات ، وكذلك لسوء الخاتمة علامات . وقد كتب :

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني :

— حفظه الله — في هذا الأمر كلاما طويلا نقلناه كاملا ولكن من المختصر فسن أحب أن يقرأ باستفاضة فليرجع إلى الكتاب الكبير في أحكام الجنائز قال عفا الله عنه (٥٠) :

ثم إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بينات يستدل بها على حسن الخاتمة ، — كتب الله لنا بفضلته ومنه — فأيا امرئ مات بإحداها كانت بشارة له ، ويا لها من بشارة له .

#### الأولى :

نطقه بالشهادة عند الموت وفيه أحاديث مذكورة في الأصل منها قوله صلى الله عليه وسلم « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

#### الثانية :

الموت يرشح الجبين . لحديث بريدة بن الحصيب رضى الله عنه « أنه كان بخراسان فعاد أخا له وهو مريض ، فوجده بالموت ، وإذا هو بعرق جبينه ، فقال : الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « موت المؤمن بعرق الجبين » .

---

(٥٠) تلخيص أحكام الجنائز : ٢١ - ٢٢

### الثالثة :

الموت ليلة الجمعة أو نهارها ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ، إلا وقاه الله فتنة القبر » .

### الرابعة :

الاستشهاد في ساحة القتال . قال الله تعالى :

« وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيُسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ » (٥١) . .

ولقوله صلى الله عليه وسلم « للشهيد عند الله ست خصال ؛ يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن الفزع الأكبر ، ويحلى حلية الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه » .

### الخامسة :

الموت غازيا في سبيل الله لقوله صلى الله عليه وسلم : « ما تعدون الشهيد فيكم ؟ »

قالوا : يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد .

قال : « إن شهداء أمتي إذاً لقليل » .

قالوا : فمن هم يا رسول الله ؟

قال : « من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن (٥٢) فهو شهيد ، والغريق شهيد » .

(٥١) سورة آل عمران : ١٦٩ - ١٧١

(٥٢) هو الاستسقاء وانتفاخ البطن ، وقيل هو الاسهال ، وقيل الذى يشتكى بطنه .

## السادسة :

الموت بداء الطاعون لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم ولقوله عليه الصلاة والسلام « الطاعون شهادة لكل مسلم » .

## السابعة :

الموت بداء البطن لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم .

## الثامنة والتاسعة :

الموت بالغرق والهدم .

لقوله صلى الله عليه وسلم : « الشهداء خمسة المطعون ، والمبطون ، والغرق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله » .

## العاشرة :

موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها .

## عن عبد الله بن الصامت :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد عبد الله بن رواحة قال : فما تحوز<sup>(٥٣)</sup> له عن فراشه . فقال : أتدرى من شهداء أمتي ؟ قالوا : قتل المسلم شهادة ، قال : « إن شهداء أمتي إذاً لقليل ، قتل المسلم شهادة ، والطاعون شهادة ، والمرأة يقتلها ولدها جمعا<sup>(٥٤)</sup> شهادة » .

## الحادية عشرة والثانية عشرة :

الموت بالحرق وذات الجنب<sup>(٥٥)</sup> وفيه أحاديث أشهرها :

## عن جابر بن عتيك عن النبي صلى الله عليه وسلم :

الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله ، المطعون شهيد ، والغرق

---

(٥٣) أى ما تنحى .

(٥٤) المرأة تموت في بطنها ولد .

(٥٥) هى ورم يعرض فى الفشاء المستعطن للاضلاع .

شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد والحرق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجميع شهيدة .

#### الثالثة عشرة :

الموت بداء السل لقوله صلى الله عليه وسلم :

« القتل في سبيل الله شهادة ، والنفساء شهادة ، والحرق شهادة ، والغرق شهادة ، والسل شهادة ، والبطن شهادة » .

#### الرابعة عشرة :

الموت في سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه لقوله صلى الله عليه وسلم :  
من قتل دون ماله فهو شهيد » .

#### الخامسة عشرة والسادسة عشر :

الموت في سبيل الدفاع عن الأهل والنفس لقوله صلى الله عليه وسلم :  
« من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد » .

#### السابعة عشرة :

الموت مرابطاً في سبيل الله .

لقوله صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » .

#### الثامنة عشرة :

الموت على عمل صالح . لقوله صلى الله عليه وسلم :

« من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة » .



### التاسعة عشرة :

من قتله الإمام الجائر لأنه قام إليه فنصحه لقوله صلى الله عليه وسلم  
سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه  
فقتله » (٥٦) ا . هـ .

اعلم يا عبد الله أننا أوردنا ذلك الباب لأن الأعمال بالخواتيم .



### فعن أبي هريرة :

رضي الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل ليعمل  
الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار ، وإن الرجل  
ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ، ثم يختم له بعمل أهل الجنة » (٥٧) .



● وعن سهل بن سعد رضى الله عنه :

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل  
الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم » (٥٨) .

فاللهم اجعلنا من أهل الجنة برحمتك ولا تجعلنا من أهل النار  
بمعفرتك .



---

(٥٦) أخرجه الحاكم وصححه .

(٥٧) في صحيح مسلم .

(٥٨) البخارى في الصحيح .



## الباب التاسع

### علامات سوء الخاتمة

اعلم يا عبد الله أن الله عز وجل قد جعل من عقوبات الذنوب والمعاصي  
سوء الخاتمة ولذلك :

قال الامام ابن القيم (٥٩) :

وإذا نظرت إلى حال كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين  
حسن الخاتمة عقوبة لهم على أعمالهم السيئة .

\* \* \*

قال الحافظ أبو محمد عبد الحق . (٦٠) :

واعلم أن لسوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - أسباباً ، ولها طرق وأبواب ،  
أعظمها الانكباب على الدنيا ، والإعراض عن الآخرة ، والإقدام والجرأة  
على معاصي الله عز وجل ، وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة ، ونوع  
من المعصية ، وجانب من الإعراض ، ونصيب من الجرأة والإقدام ، فملك  
قلبه ، وسبى عقله ، وأطفأ نوره ، وأرسل عليه حجبه ، فلم تنفع فيه تذكرة ،  
ولا نجحت فيه موعظة ، فربما جاءه الموت على ذلك ، فسمع النداء من مكان  
بعيد ، فلم يتبين المراد ، ولا علم ما أراد ، وإن كرر عليه الداعي وأعاد .

\* \* \*

---

(٥٩) الجواب الكافي ص ٢٥٠

(٦٠) التذكرة ص ٥٢ ج ١ والجواب الكافي ص ٢٥٠

قال القرطبي (٦١) :

ومثل هذا في الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا ، واللهم بها ،  
أو بسبب من أسبابها .

حكى عن بعض السماسرة جاء عند الموت فقيل له :

قل لا إله إلا الله . فجعل يقول : ثلاثة ونصف ، أربعة ونصف غلبت عليه  
السمسرة .

ولقد رأيت بعض الحُصَّابِ وهو في غاية المرض ، يعتقد بأصابعه  
ويحسب .

— قيل لآخر قل : لا إله إلا الله . فجعل يقول الدار الفلانية أصلحوا  
فيها كذا والجنان الفلاني اعملوا فيه كذا .

— وقيل لآخر قل : لا إله إلا الله فجعل يقول : عقلك الحمارة .

ولذلك كان السلف الصالح يخافون من سوء الخاتمة خوفا شديداً .

\*\*\*

● بكى سفيان الثوري :

ليلة إلى الصباح ، فلما أصبح قيل له :

كل هذا خوفاً من الذنوب ؟

فأخذ تبنة من الأرض ، وقال : الذنوب أهون من هذا .

وإنما أبكى من خوف سوء الخاتمة .

\*\*\*

يقول ابن القيم (٦٢) معقبا على قول سفيان :

وهذا من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخذله ذنوبه عند الموت ،

---

(٦١) التذكرة ص ٥٢ ج ١

(٦٢) الجواب الكافي ص ٢٥٢

فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنى . فمن هذا خاف السلف من الذنوب أن تكون حجاباً بينهم وبين الخاتمة الحسنى .

#### قال القرطبي (٦٢) :

وإذا كانت الهداية إلى الله مصروفة ، والاستقامة على مشيئته موقوفة ، والعاقبة مغيبة ، والإرادة غير مغالبة ، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ، فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك وفضله ، فمهما افتخرت بذلك ، كنت كالمفتخر بمتاع غيره ، وربما سلب عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من البعير ، فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، فأصبحت وزهرها يابس هشيم ، إذ هبت عليها الريح العقيم ، ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم .

وأخيراً ينبغي لكل مؤمن أن يقرأ الكلمات التالية ويتفكر فيها وينظر إلى نفسه ، وإلى قلبه . فإن كان من العاصين فليرجع إلى الرب الرحيم .



#### قال أبو محمد عبد الحق :

واعلم أن سوء الخاتمة - أعادنا الله منها - لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ، ما سمع بهذا ولا علم به والله الحمد ، وإنما تكون لمن له فساد في العقد (٦٤) أو إصرار على الكبائر ، واقدام على العظائم ، فربما غلب عليه ذلك حتى ينزل به الموت قبل التوبة ، فيأخذه قبل إصلاح الطوية ، ويصطلح قبل الإنابة ، فيظفر به الشيطان عند تلك الصرمة ، ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله .



---

(٦٢) التذكرة ص ٥٥ ج ١

(٦٤) أي عقد السير في طاعة الله .

وعظ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله (٦٥) :

« أما بعد ..

فإن من أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه » .

ومن كلامه رحمه الله :

« كل يوم تشيعون غاديا ورائحا ، قد قضى نجه ، وقضى أجله ، وتغييونه فى صدع الأرض ، تدعونه غير موسد ، ولا متعهد ، فارق الأحباب ، وخلع الأسباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب مرتها بعمله ، فقيرا إلى ما قدم ، غنيا عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت وإنقضاء موالاته » .

« يا ساكن القبر غداً . . . ما الذى غرك من الدنيا ؟

هل تعلم أنك تبقى أو أنها تبقى لك ، أين دارك الفيحاء ، ؟

ونهرك المطرد ؟ ، وأين ثمارك ؟ وأين رقاق ثيابك ؟

وأين طيبك ؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك ؟

أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه وهو يرشح عرقاً ويتلمظ عطشاً ، ويتقلب فى سكرات الموت وغمراته ، جاء الأمر من السماء ، وجاءه من الأجل مالا يتمتع عنه . هيهات هيهات يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله ، يا مكفن الموت وحامله يا مخليه فى القبر راجعا عنه .

ليت شعرى ، كيف كنت على خشونة الثرى ؟

يا ليت شعرى بأى خديك يبدأ البلى ؟

يا مجاور الهلكات ، صرت فى محلة الأموات ،

يا ليت شعرى ، ما الذى يلقانى به ملك الموت عند خروجى من الدنيا ؟

وما يأتينى به من رسالة ربى .

وقال الشاعر :

نَهَارَكَ يَا مَعْرُورَ سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ  
وَلَيْلَكَ نَوْمٌ ، وَالسَّرْدَى لَكَ لَا زِمُ  
وَتَعْمَلُ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّةً  
كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ

\* \* \*

قال الامام الحافظ الذهبي - رحمه الله - : (\*)

ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك ونقلت إلى  
بيت الوحدة والظلم ، وندمت على التفريط غاية الندم فيا عجبا لعين تنام  
وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعد ومتى تضرم فالخوف في قلبك ، إلى  
متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد ، إلى متى لا يهولك زجر المواعظ  
وإن شدد ؟

الى متى أنت بين الفتور والتواني تتردد ؟

متى تحذر يوما فيه الجلود تنطق وتشهد ؟

متى تترك ما يفنى فيما لا ينفد ؟

متى تكون في الليل قائما اذا سجا ؟

أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا ، وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا  
وقدموا إلى بابه في الأسحار ووفدوا ، وصاموا هواجر النهار فصبروا  
واجتهدوا ؟

لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا ، وبقيت في أعقابهم وإن لم تلحق  
بعد .

---

(\*) الكبائر ص ١٠٣ طبعة الكليات الازهرية بتصرف .

قال الشاعر :

يَا نَائِمَ اللَّيْلِ كَمْ تَرَقُّدُ  
فَمَنْ يَا حَبِيبِي فَقَدْ دَنَا الْمُوعِدُ  
مَنْ نَامَ حَتَّى يَنْقُضَ لَيْلُهُ  
لَمْ يَبْلُغِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ أَنْ يَجْهَدُ  
قُلْ لِذَوِي الْأَلْبَابِ أَهْلِي التَّقَى  
قَنْطَرَةٌ لِعَرْضٍ لَكُمْ مَوْعِدُ

وقال رحمه الله (٦٦) :

« أيها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد للسمات الآت ، أتطمع  
وأنت رهين الوساد (٦٧) في لحاق السادات (٦٨) ، هيهات ، هيهات ، هيهات .  
يا آملا في زعمه اللذات أحذر هجوم هازم اللذات أحذر مكائده فهي  
كوامن في عدة الأنفاس واللحظات .

قال الشاعر :

تَمْضِي حَالَاوَةٌ مَا أَخْفَيْتَ وَبَعْدَهَا  
تَبْقَى عَلَيْكَ مَرَارَةُ التَّبَعَاتِ  
يَا حَسْرَةَ الْعَاصِينَ يَوْمَ مَعَادِهِمْ  
لَوْ أَنَّهُمْ سَبَقُوا إِلَى الْجَنَّتَاتِ  
لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْحَيَاةُ مِنَ الذِّى  
سَتَرَ الْعُيُوبَ لِأَكْثَرِ الْخَسَرَاتِ

يا من صحيفته بالذنوب قد جفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت ،  
أما رأيت عرائس إلى اللحود قد زُفَّتْ ؟

(٦٦) الكبائر ص ١٠٤ بتصرف .

(٦٧) المقصود النوم والكسل .

(٦٨) المقصود أهل التقوى من الأحياء .



أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت في الأكمان ولثقت ؟  
أما عاينت طور الأجسام في الأرحام ؟  
أين الأكاسرة الشجعان ؟ وأين المنعمون بالجوارى ؟  
أين من اعتاد سعة القصور ؟ حبس في القبور .

قال الشاعر :

أَيْنَ أَهْلُ الدِّيارِ مِنْ قَوْمِ نوحٍ  
ثُمَّ عَادَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَثُمُودُ  
يَنِمُّ الْقَوْمُ فِي النَّمَارِقِ وَالْإِسْتَبِ  
رَقَ أَفْضَتْ إِلَى التَّرابِ الْخُدُودُ  
وَصَاحِبُ أَضْحَى يَعْبُدُ مريضاً  
وَهُوَ أَدْنَى لِلْمَوْتِ مِمَّنْ يَعْبُدُ

وقال رحمه الله (٦٩) :

عبادَ الله أين الذين كنزوا وجمعوا وثللوا (٧٠) من الشهوات وشبعوا ؟  
جاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا .  
وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا ، فهم مفترقون في القبور ،  
فإذا نفخ في الصور اجتمعوا .

قال الشاعر :

وَكَيفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْيُنُهُمْ  
أَوْ اسْتَلَذُّوا لِذِيذِ الْعَيْشِ أَوْ هَجَعُوا  
وَالْمَوْتُ يُنْذِرُهُمْ جَهْرًا عَلَانِيَةً  
أَوْ كَانَ الْقَوْمُ أَسْمَاعَ لَقَدْ سَحُوا

(٦٩) الكبائر ص ١١٨ بتصرف .

(٧٠) المقصود سكرُوا وانغمسوا .

وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا يَدَّ مَسُورُهُمْ  
وَلَيْسَ يَذْرُونَ مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقْبَعُ



وقال الامام ابن الجوزي رحمه الله (٧١) :

« يا صاحب الخطايا أين الدموع الجارية ؟

يا أسير المعاصي ابك على الذنوب الماضية ؟

يا مبارزاً بالقبائح أتصبر على الهاوية ؟

يا ناسياً ذنوبه والصحف للمنى حاوية ، أسفاً لك إذا جاءك الموت وما  
أُتِّبَتْ (٧٢) ، واحسرة لك إذا دعيت إلى التوبة فما أجبت كيف تصنع إذا  
نودي بالرحيل ؟ وما تأهبت ، ألسنت الذي بارزت بالكبائر وما راقبت .

قال الشاعر :

أَتَضْحَكُ أَيُّهَا الْعَاصِي  
وَمِثْلُكَ بِالْبُكَاءِ أَخْرَى

وَبِالْحُزَنِ الطَّوِيلِ عَلَى  
الَّذِي قَدَّمْتَهُ أَوْلَى

نَسِيتَ قَبِيحَ مَا أَسْلَفَ  
تَ وَالرَّحْمَةَ لَنْ لَا يَسَى

فَبَادِرْ أَيُّهَا الْمُسْتَكِينُ  
قَبْلَ حُلُولِ مَا تَخْشَى

بِاقْتِلَاعِ وَإِخْلَاصٍ  
لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْضَى



(٧١) التبصرة ج ١ ص ٢٨ بتصرف .

(٧٢) الانابة : العودة والرجوع والمقصود التوبة .



في السباق ، واشتد به الكرب والتفت الساق بالساق ، وتحير في أمره وضاق بالخناق ، وصار أكبر شهواته توبة من شقاق هيهات مضى بأوزاره الثقيلة ، وخلا بأعماله واستودع مقيله وغيب في الثرى وقيل لا حيلة ، وبات الندم يلزمه وبئس اللاحى له (٧٦) .

\* \* \*

قال الشاعر :

اغْتَيْمَ فِي الْفَرَاغِ فَضَّلَ رُكُوعَ  
فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَعْتَةً  
كَمْ صَاحِحٍ رَأَيْتَ مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ  
ذَهَبَتْ نَفْسُهُ السَّالِيَةَ فُلْتَةً

\* \* \*

وقال رحمه الله (٧٧) :

يا معرضاً عن الهدى لا يسعى في طلبه ، يا مشغولاً بلهوه مفتوناً بلعبه ،  
يا من قد صاح به الموت عند أخذ صاحبه « من يعمل سوءاً يجز به » (٧٨) .

« كم ليلة سهرتها في الذنوب ، كم خطيئة أملتتها في المكتوب كم صلاة تركتها مهملًا للوجوب ، كم أسبلت سترًا على عتية العيوب ، يا أعمى القلب بين القلوب ، ستدرى دمع من يجري ويذوب ، ستعرف خبرك عند الحساب والمحسوب ، أين الفرار وفي كف الطالب المطلوب ، تنبه للخلاص أيها المسكين ، أعتق نفسك من الرق يا رهين ، احذر غرور الدنيا فما للدنيا يسين .

يا دائم المعاصي سجن الغفلة سجين ، تشب على الخطايا ولا وثبة تبني ،  
كأنك بالموت قد برز من كمين ، وآن الأمر فوقعت في الأنين » .

\* \* \*

(٧٦) اللاحى : العائب .

(٧٧) المصدر السابق ص ١٤٨

(٧٨) سورة النساء : ١٢٣

وقال رحمه الله : (٧٩)

« واعجبا لنفس الموت مؤثلا ، والقبر منزلها ، واللحد مدخلها ثم يسوء  
سجلها » ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها » (٨٠) .

كم قاطع زمانه بالتسويق ، بائع دينه بالحبة والرغيف ، مشتر للويل  
بتطيف الطهيف ، يتمنى العود إذا رأت نفسه ما يذهلها .  
« وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا » ..

كم مشغول بالقصور يعمرها ، لا يفكر في القبور ولا يذكرها ، يبيت  
الليالي في فكر الدنيا ويسهرها ، يجمع الأموال إلى الأموال يثمرها ، وقع  
في شرك المنايا وهو لا يبصرها ، أف لدنيا هذا آخرها ، وآه لأخرى هذا  
أولها :  
« وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا » ..

آه لساعات شدة الكربات ، فيها غمرات ليست بنوم ولا سبات ، تنقطع  
فيها الأفتدة باللوم على القوات ، وتبكي عين الأسف لما مضى من هفوات  
والمريض ملقى على فراش الحرقات ، فآه ثم آه من جبال حسرات يحملها  
« وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا » ..

لقد صاح بك الصائح بأخذ غادرٍ وسلب رائجٍ ، يكفى ما مضى من قبائح  
فاقبل اليوم هذه النصائح فإن المسكين من يهملها .  
« وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا » ..

وقال الإمام رحمه الله (٨١) :

« أين الوالدون وما ولدوا ، أين الجبارون ، وأين ما قصدوا أين أرباب  
المعاصي على ماذا وردوا ، أما جنوا ثمرات ما جنوا وحمدوا ، أما قدموا على  
أعمالهم في مآلهم ووفدوا أما خلوا في ظلمات القبور .

(٧٩) السابق ص ٤١٢

(٨٠) سورة المنافقون : ١١

(٨١) التبصرة ص ١٦٧ ج ٢

بكوا والله وانفردوا ، أن ذلوا وقلوا بعد أن عتوا ومردوا ، أما طلبوا  
زاداً يكتفى في طريقهم ففقدوا ، أما حل الموت فحل ما عقدوا ، عاينوا والله كل  
ما قدموا ووجدوا ، فمنهم أقوام شقوا وأقوام سعدوا .

قال الشاعر : ( ٨٢ )

لَا وَالِإِدِّ خَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ  
كُلُّ جَلِيدٍ يَخُونُهُ الْجَلَدُ  
كَأَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ لَمْ يَسْكُنُوا الدُّ  
وَرَ وَلَهُمْ يَحْيَى مِنْهُمْ أَحَدٌ  
وَلَمْ يَكُونُوا إِلَّا كَهَيْئَتِهِمْ  
لَمْ يَبُولَدُوا قَبْلَهَا وَلَمْ يَلِدُوا  
يَا مَنْ نَعَى مَنْ مَضَى كَذَلِكَ غَدَاً  
تُنْعَى فَبَادِرٌ فَقَدْ أَتَاكَ غَدُ  
يَا نَاسِيَ الْمَوْتِ وَهُوَ يَذْكُرُهُ  
مَا لَكَ بِالْمَوْتِ إِذْ أَتَاكَ يَدُ  
دَارِكَ دَارٍ يَمُوتُ سُكَّانُهَا  
دَارِكَ يُبْلَى جَدِيدُهَا الْأَبَدُ  
تَبْشِي عَلَى مَنْ مَضَى وَأَنْتَ غَدَاً  
يُورِدُكَ الْمَوْتُ فِي الَّذِي وَرَدُوا  
لَوْ كُنْتَ تَذَرِي مَاذَا يُرِيدُ بِكَ الـ  
مَوْتُ لِأَبْكِي جُنُودَكَ الشُّهَدُ

أين الذين ملكوا ونالوا ؟ زالوا ، وستؤول إلى ما إليه آلوا ، هذا  
مصيرنا يا معاشر الغافلين ، واللحود بيوتنا بعد الترف واللين ، والقيامة  
تجمعنا وتنصب الموازين ، والأهوال عظيمة فأين المتفكر الحزين .

« إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآئٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ » (٨٣) ..

الموت مسرع مجد غير راث ، والأموال عن قليل تنضى للوارث وكأنك  
بوقوع الحادثات وحماة الحارث ، يا طويل الأمل هل قلبك لابت ، لاتسمعن  
المحال فلست بماكث .

أيها المتيقظون وهم نائمون ، أتبنون مالا تسكنون ، وتجمعون ما لا  
تأكلون ، كونوا كيف شئتم فستنقلون .

« ثُمَّ أَنْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ » (٨٤) ..

يا مقيمين سترحلون ، يا مستقرين ما تتركون ، يا غافلين عن الرحيل  
منظعنون ، أراكم متوطنين تأمنون المنون .

« ثُمَّ أَنْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ » ..

طول نهاركم تلعبون وطول ليلكم ترقدون ، والفرائض ما تؤدون وقد  
رضيتم عن العالى بالدون ، لا تفعلوا ما تفعلون .

« ثُمَّ أَنْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ » ..

أما الأموال فتجمعون والحق فيها ما تخرجون ، وأما الصلاة فتضيعون  
وإذا صليتم تنقرون ، أترى هذا إلى كم يكون .

« ثُمَّ أَنْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ » ..

آين العتاة المتجبرون ، آين الفراعنة المسلطون ، آين أهل الخيلاء  
المتكبرون ، قدروا أنكم صرتم بهم أما تسمعون .

« ثُمَّ أَنْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ » ..

ما شفعتهم الحصون ولا رد المال المصون ، هبت زعزع الموت فكسرت  
العصون ، قدروا أنكم تزيدون عليهم ولا تنقصون .

« ثُمَّ أَنْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ » ..

---

( ٨٣ ) سورة الأنعام : ١٢٤

( ٨٤ ) سورة المؤمنون : ١٥

تقلبوا من اللذات في فنون ، وأخرجهم البطر إلى الجنون ، فأتاهم ما هم عنه غافلون .

« كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ » (٨٥) ..

« ثُمَّ أَنْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ » ..

لو حصل لكم كل ما تحبون ونما جميع ما تؤتون ، ونلتهم من الأمانى ما تشتهون ، أينفعكم حين ترحلون .

« ثُمَّ أَنْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ » ..

إلى متى ؟ وحتى متى تنصحون وأنتم تكسبون الخطايا وتجترحون ، أأمنتم وأنتم تسرحون ذئب هلاك فلا تبرحون .

« ثُمَّ أَنْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ » ..

لا تفرحوا بما تفرحون فإنه لغيركم حين تطرحون ، وإياكم من يراكم تمرحون ، قد خسرتهم إلى الآن فما تربحون .

« ثُمَّ أَنْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ » ..

\* \* \*



## نهاية انسان

### قصيدة وعظية

كَيْسَ الْغَرِيبُ غَرِيبُ الشَّامِ وَالْيَمَنِ  
إِنَّ الْغَرِيبَ غَرِيبُ اللَّحْدِ وَالْكَفَنِ  
تَمُرُّ سَاعَاتُ أَيَّامٍ بِلَا نَدَمٍ  
وَلَا بُكَاءٍ وَلَا خَسُوفٍ وَلَا حَزَنِ  
سَفَرِي بَعِيدٌ وَزَادَ لَا يَبْلُغُنِي  
وَقِسْمِي كَمْ تَزُلُ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُنِي  
مَا أَحْسَلَمَ اللَّهُ عَنِّي حَيْثُ أَمَهَّلَنِي  
وَقَدْ تَمَّادَيْتُ فِي الذَّنْبِ وَيَسْتُرُنِي  
أَنَا الَّذِي أَغْلَقْتُ الْأَبْوَابَ مُجْتَهِدًا  
عَلَى الْمَعَاصِي وَعَيْنُ اللَّهِ تَنْظُرُنِي  
يَا زَلَّةً كُتِبَتْ يَا غَفْلَةً ذَهَبَتْ  
يَا حَسْرَةً بَقِيَتْ فِي الْقَلْبِ تَقْتُلُنِي  
دَعُ عَنْكَ عَذْلِي يَا مَنْ كَانَ يَعِذُّنِي  
لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا بِي كُنْتُ تَعِذُّنِي  
دَعْنِي أَنْوَحَ عَلَى نَفْسِي وَأُنْدِبْهُبَ  
وَأَقْطَعْ الدَّهْرَ بِالتَّذْكَارِ وَالْحَزَنِ  
دَعْنِي أَسْحُ دُمُوعًا لَا انْقِطَاعَ لَهَا  
فَهَلْ عَسَى عَبْرَةٌ مِنْهَا تُخَلِّصُنِي  
كَأَنْتِي بَيْنَ تِلْكَ الْأَهْلِ مَنْطَرِحَ  
عَلَى الْفِرَاشِ وَأَيْدِيهِمْ تَقْلُبُنِي

وَقَدْ أَتَوْا بِطَيْبٍ كَثِيرٍ يُعَالِجُنِي  
وَلَمْ أَرَ مِنْ طَيْبِ الْيَوْمِ يَنْفَعُنِي  
وَاشْتَدَّ تَزْيِي وَصَارَ الْمَوْتُ يَجْذِبُنِي  
مِنْ كُلِّ عِرْقٍ بِلَا رَفْقٍ وَلَا هَيُونٍ  
يَسَلُّ رُوحِي وَظَلَّ الْجَسْمُ مُنْطَرِحًا  
عَلَى الْفِرَاشِ وَأَيْدِيهِمْ تُقَلِّبُنِي  
وَعَمَضُونِي وَرَاحَ الْكُلُّ وَانْصَرَفُوا  
بَعْدَ الْإِيَّاسِ وَجَدُّوا فِي شِرَا كَفِينِي  
وَقَامَ مَنْ كَانَ أَوْلَى النَّاسِ فِي عَجَلٍ  
إِلَى الْمَغْسَلِ يَأْتِينِي يُغَسِّلُنِي  
فَجَاءَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَّدَنِي  
مِنَ الثِّيَابِ وَأَعْرَانِي وَأَفْسَرَّدَنِي  
وَأَسْكَبَ الْمَاءَ مِنْ فَوْقِي وَغَسَّلَنِي  
غَسْلًا ثَلَاثًا وَنَادَى الْقَوْمُ بِالْكَفَنِ  
وَأَلْبَسُونِي ثِيَابًا لَا كُؤُومَ لَهَا  
وَصَارَ زَادِي حُطُوطًا حَسِينًا حَنْطَنِي  
وَأَنْزَلُونِي فِي قَبْرِ عَلَى مَهَلٍ  
وَأَنْزَلُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ يَلْحَدُنِي  
وَقَالَ هَلُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ وَاغْتَنِمُوا  
حُسْنَ الثَّوَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ ذِي الْمَنَنِ  
فِي ظِلِّ الْقَبْرِ لَا أُمَّ هُنَاكَ وَلَا  
أَبَّ شَفِيقٍ وَلَا أَخَّ يُؤْنِسُنِي  
فَلَا تَعْرِتْكَ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا  
وَانْظُرْ إِلَى فِعْلَهَا فِي الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ

وَأَنْظُرْ إِلَى مَنْ حَاوَى الدُّنْيَا بِأَجْمَعِيهَا  
هَلْ رَاحَ مِنْهَا بَغِيرُ الزَّادِ وَالْكَفَنِ  
خُذِ الْقَنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وَارْضَ بِهَا  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا رَاحَةُ الْبَدَنِ  
يَا نَفْسُ كُفِّي عَنِ الْعِصْيَانِ وَاكْتَسِبِي  
فِعْلاً جَمِيلاً لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَنِي

وقال الشاعر :

تَزُودُ مِنَ التَّقْوَى فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي  
إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ  
فَكَمْ مِنْ فَتَى أَمْسَى وَأَصْبَحَ ضَاحِكًا  
وَقَدْ نَسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهِيَ لَا يَذَرِي  
وَكَمْ مِنْ عَرُوسٍ زَيْنُوهَا لَزُوجِهَا  
وَقَدْ قُبِضَتْ أَرْوَاحُهُمَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ  
وَكَمْ مِنْ صِفَارٍ يُرْتَجَى طَوْلُ عُمْرِهِمْ  
وَقَدْ أَدْخَلَتْ أَجْسَادُهُمْ ظُلُمَةَ الْقَبْرِ  
وَكَمْ مِنْ صَاحِبٍ مَاتَ بَغَيْرِ عِيْلَةٍ  
وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ جِينًا مِنَ الدَّهْرِ

\* \* \*



## المراجع

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن - عبد الباقي - طبعة دار الحديث
- ٣ - شرح الصدور - السيوطي - مؤسسة الإيمان - بيروت .
- ٤ - التذكرة - القرطبي - الكليات الأزهرية .
- ٥ - إحياء علوم الدين - الغزالي - المكتب الثقافي .
- ٦ - مختصر أحكام الجنائز - الألباني - المكتبة الإسلامية - عمان .
- ٧ - التبصرة - ابن الجوزي - مؤسسة جمال - بيروت
- ٨ - الزهد والرقائق - ابن المبارك - دار الكتب العلمية - بيروت
- ٩ - الكبائر - الذهبي - مكتبة الكليات الأزهرية
- ١٠ - الداء والدواء - ابن القيم - مطبعة المدنى
- ١١ - خامس الراشدين - أحمد الشرباصي - دار الشعب



## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	خطبة الحاجة
٦	مقدمة الناشر
٧	مقدمة عن الموت
١١	الباب الاول : فى بيان فضل ذكر الموت وحسن الاستعداد له
١٧	الباب الثانى : احوال الناس عند ذكر الموت
٢١	الباب الثالث : ما يعين على ذكر الموت
٢٣	من اقوال السلف فيما يعين على ذكر الموت
٢٥	الباب الرابع : سكرات الموت وشدته
٢٦	ما ورد عن السلف الصالح واهوالهم عند السكرات
٣٣	الباب الخامس : حسن الظن بالله عند نزول الموت
٣٤	ما ورد عن السلف الصالح فى حسن الظن بالله
٣٧	الباب السادس : النهى عن تمنى الموت
٣٨	ما ورد عن السلف الصالح فى النهى عن تمنى الموت
٣٩	ما ورد عن السلف الصالح فى تمنى الموت خوفاً من الفتنة فى الدين
٤١	الباب السابع : اقوال المحتضرين من العلماء والصالحين والملوك
٤٥	الباب الثامن : علامات حسن الخاتمة وكلام الشيخ الالبانى فى ذلك
٥١	الباب التاسع : علامات سوء الخاتمة
٥٤	من مواعظ امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
٥٨	من مواعظ الامام ابن الجوزى فى كتابه التبصرة
٦٣	نهاية انسان ( قصيدة وعظية )
٦٩	المراجع

تم الكتاب وربنا محمود وله المكارم والعلا والجود

وعلى النبي محمد صلواته ما ناح قمري وأورق عود

وكان الفراغ من طبعه ومراجعته بعون الله تعالى على يد العبد الفقير الى  
عفو الله سبحانه وتعالى :

أبو حذيفة إبراهيم بن محمد

---

رقم الايداع : ٢١٢٣ / ١٩٨٦

---